Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi

فوائد الحيس
في
فوائد ذي القرنين

للإمام العالم
نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي
الصرصري ثم البغدادي الحنبلي
ت ٧١٦ هـ

دراسة وتحقيق
الدكتور مصطفى عليان

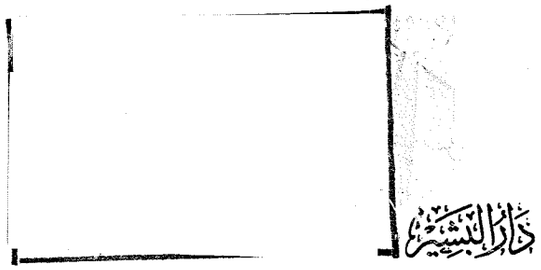

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار البشير
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) / تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهديه، واقتدى بسنتـه إلى يوم الدين. «اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت».

وبعد، فهذا كتاب في النقد الأدبي أحسبه متفرداً في بابه؛ فهو جديد باختصاصه بشاعر جاهلي، منهجي في وفاء أبوابه بمطالب شعر امرىء القيس، وإحاطتها بخصائصه الفنية.

فقد تفرد هذا الكتاب في موضوعه، إذ لا أعلم كتاباً في آثارنا النقدية القديمة فرّد امرأ القيس بدراسة وقفت على خصائص شعره، وجوانب الجمال في فنه، فكل ما وصل إلينا في نقد شعره أحكام ذوقية سريعة عامة في تفضيله على غيره من الشعراء، وأحكام موجزة مركزة نبه فيها الناقد على منزلة امرىء القيس بأبيات دلائل على السبق والابتكار، وشواهد على موافقة النموذج المستحب المختار في التشبيه والوصف، وأحكام موضوعية اختص فيها الناقد بالتحليل بيتاً مصيباً في صورته ومبناه، أو مشكلاً في معناه، أو متجاوزاً المطرد من القواعد في بعض تركيبه ونظمه.

غير أن محاولة الباقلاني في دراسة معلقة امرىء القيس تكاد تتفرد في منهجية التناول النقدي التكاملي للنص الأدبي، على الرغم من أن في أحكامه ونقده مجالاً للمتأمل في تصويبه والاستدراك عليه.

وأحاط كتاب موائد الحيس في فوائد امرىء القيس لنجم الدين سليمان بن عبدالقوي الطوفي بقضايا شعر امرىء القيس المثارة في النقد الأدبي من حيث البلاغة والفن، فخص

تكراره للمعاني بباب، ونبه بأثر شعره في الشعراء القدماء والمحدثين في باب ثانٍ، وأفاض في تحليل الصورة البيانية في شعره وتمييزها بالجودة والإبداع والتفرد في بابٍ ثالث، وانتخب أبياتاً مما تعاورها الشراح وأصحاب المعاني والنقاد لأنها مشكلة في معناها أو ذات خلل في مبناها، فقوَّم معانيها وزحافاتها في بابٍ رابع.

وجمع هذا الكتاب إلى طرافة موضوعه وجدته، جرأة في الرأي، وقدرة على المغايرة والمخالفة، وذاتية في التذوق والفهم، إذ أراد الطوفي لكتابه أن يحمل خلاصة رؤيته النقدية الخاصة، ولذلك خلا الكتاب من ذكر أحد ممن عرض لشعر امرىء القيس بنقد أو توجيه، إلا من إشارة لبعض اللغويين مثل الأصمعي وأبي عبيدة وأبي علي الفارسي في مجال الرواية والرأي النحوي، واكتفى الطوفي بإسناد الرأي المغاير له إلى ما لم يسم فاعله بقوله «قيل» أو تعليق ذلك بمطية الكذب «زعم».

وكان الطوفي بامرىء القيس معجباً، ولشعره مقدماً، إلّا أن هذا الإعجاب لم يفقده المعيار الموضوعي في الدفاع عن المشكل في شعره، أو الإشادة بالحسن من تشبيهاته ومعانيه، غير أنه لم يلتفت إلى نزعة المقايسة وأسلوب الموازنة مما اعتمد عليه النقاد في مثل هذه المواقف، ربما لأن شعر امرىء القيس لم يكن مجال اختلاف أو خصومة بين النقاد، بل الإجماع منعقد على تقديمه في فنون مميزة من التشبيه والوصف، وما المآخذ عليه إلا تنبيهات على الإخلال بالصنعة الشعرية أحياناً عنده في جزئيات محدودة معدودة.

ومهدت لتحقيق هذا الكتاب «موائد الحيس في فوائد امرىء القيس» بدراسة ذات فصول ثلاثة هي القسم الأول منه، وكانت على النحو التالي:

درست في الفصل الأول سيرة الطوفي الذاتية من خلال البيئات الإسلامية التي تنقل فيها وارتحل إليها، وحاولت أن أتلمس أسباباً لانتقاله وارتحاله خاصة فيما لم تنص كتب التراجم عليه.

وأحسب أني وجهت الخلاف الذي وقع في سنة ميلاد الطوفي بين القدماء والمحدثين، ورجحت ما اخترته بأدلة لغوية وأُخرى عقلية، وكذلك كان الحال في تعضيد نفي اتهامه بالتشيع والرفض، إذ عنيت بأبعاد التهمة العلمية والاجتماعية والأدبية، فضلاً عن النصوص

المنقولة من كتبه التي أشار إليها مَنْ سبقني في دراسة حياته.

على أنني دققت في شخصيّة الطوفي الإسلامية بجانبيها الفكري والسلوكي من خلال مقولات أهل العلم في الثناء عليه، زيادة في دفع تهمة التشيع عنه، وتأكيداً لنقائه وفضله.

وعرضت في الفصل الثاني لمنهج الطوفي في كتاب موائد الحيس من حيث قوامة ترتيب أبوابه غالباً، وأشرت إلى عدم تناسب الباب الثالث مع باقي الأبواب من حيث حجمه وموضعه؛ إذ كان الأولى أن يلحق هذا الباب «في سبب اشتباه كلامه بعضه ببعض» بالباب الأول: «في متشابه شعر امرىء القيس بعضه ببعض».

وأشرت إلى عناية الطوفي بالقصيدتين اللاميتين؛ المعلقة واللاميَّة الثانية (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي)، وإلى خلل انتخابه من أبيات القصيدة الواحدة من حيث الترتيب، ونبهت في هذا الفصل إلى اعتماده على ما ورد من شعر امرىء القيس عند الرواة ممن عرف برواية شعره مثل الأصمعي وأبي بكر الأنباري وأبي جعفر النحاس والخطيب التبريزي وأبي زيد القرشي والطوسي وابن النحاس وأبي سهل، وتوجيهه الروايات المختلفة في شعر امرىء القيس في حدود ضيقة.

وحددت أسلوب الطوفي في شرح الشعر بأنه أُسلوب علمي يقوم على الإيجاز الشديد، ويبتعد عن السجع، وردفت ذلك برصد ملامح في الكتاب دالة على نزوعه الفكري والمذهبي، من ذلك ميله إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في تفضيل شعر امرىء القيس وتعزيزه لهذا التفضيل بالأدلة، ودفاعه عن نهج البلاغة بإعجاب يضاف إلى إعجاب ابن أبي الحديد في ذلك. وتتبدى في الكتاب أيضاً ملامح نزعة صوفية في الثناء على ابن الفارض والترضي عنه، وآثار من علم الكلام، وشيء من الاعتزال.

وفي الفصل الثالث تعمقت القضايا النقدية التي أثارها الطوفي في شعر امرىء القيس، فكانت التكرار في شعره، والسرقات من شعره، والصورة البيانية في ديوانه، وعيوب شعره التي أثارها السابقون في التناقض والمشكل والإقواء والزحاف.

وحاولت من خلال ذلك أن أبلور اتجاهاً نقدياً للطوفي، والحكم عليه بالأصالة والجِدة، أو التبعية، من خلال النقد الذي تناول بعض أبيات امرىء القيس عند السابقين من النقاد،

على أنني أكثرت الرجوع إلى رأيه النقدي في الإكسير في علم التفسير، توضيحاً للحكم النقدي في موائد الحيس، وتنبيهاً على استواء المقياس وثباته أو تطوره.

وقبل الشروع في تحقيق كتاب موائد الحيس في فوائد امرىء القيس وهو القسم الثاني من هذا الكتاب، مهدت لذلك بوصف لنسخة الكتاب الوحيدة التي اعتمدت عليها، وأتبعت ذلك بياناً بمنهج التحقيق ومرتكزاته.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن يجعل ما أنفقت من عمري في إخراج هذا الكتاب في ميزان العمل الصالح الصائب، وأن يغفر لي فيه ما زل به القلم، وما جانب فيه الرأي الصواب، إنه هو السميع العليم مجيب الدعوات رب العالمين.

د. مصطفى عليان مصطفى عليان

مكة المكرمة في ٣ شعبان ١٤١٤هـ

١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٤م

القسم الأول

السيرة الذاتية ـ المنهج ـ قضايا نقدية

الفصل الأول

نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي

ت ٧١٦هـ

سيرة ذاتية

- مولده ونشأته في العراق.
- شيوخه في دمشق.
- محنته في مصر.
- مؤلفاته في قوص.
- مجاورته للحرمين.
- وفاته في بلد الخليل عليه السلام.
- شخصيته وآراء العلماء فيه.

سيرته وثقافته

عاش الـطوفي حياتـه طالبـاً للعلم، ساعياً بالرحلة في تحصيله، متحملاً عناء السفر وتبعات الغربة في الاتصال بأهله، فأنفق عمره في السفر بين العراق والشام ومصر والحجاز وبيت المقدس، وقد تركت هذه البيئات أثراً في تكوينه العلمي، وصدى في اتجاهه الفكري.

١ـ في العراق

كان العراق يعيش قهر التتار الذين اجتاحوه بجحافلهم عام ٦٥٦هـ، وعاثوا فساداً في مدنه خاصة بغداد قرابة أربعين يوماً؛ أهلكوا فيها الحرث والنسل، فقتلوا ألف ألف وثمانمائة ألف من الناس، وألقوا بتراث الأُمة الفكري والعلمي في نهر دجلـة حتى اسودَّ ماؤه[1].

في ظل هذه الحياة السياسيّة ولـد نجم الـدين أبـو الـرّبيع سليمان بن عبدالقوي بن عبـدالكـريم بن سعيد الـطّوفي[2] الصَّرصريّ ثم البغدادي الحنبلي، والطُّوفي بضم الطّاء وسكون الواو بعدها فاء، نسبة إلى «طُوفَى» أو «طوف»[3] وهي القرية التي ولد فيها، وكان أصله منها، ولذلك نسب إليها، وهي من أعمال صَرْصَر، وصرصر قريتان من سواد بغداد، صرصـر العليا وصـرصر السفلى، وبين السفلى وبغداد نحو فرسخين وهما على ضفة نهر

---

(١) انظر البداية والنهاية: ١٤/ ٢٠٠ـ٢٠٤.

(٢) في الدرر الكامنة: سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم بن سعيد بن الصفي المعروف بابن أبي عباس الحنبلي نجم الدين. (٢/ ٢٤٩).

(٣) لعل «الطَّوف» بفتح الطاء أصوب من ضمها، إذ معناها خشب يشد ويركب عليه في البحر، أو هي التي يُعْبَر عليها الأنهار، تسوى من القصب والعيدان ثم تقمط بالقمط حتى يؤمن انحلالها، فلا يستبعد أن تكون قرية نجم الدين سليمان قد شهرت بهذه الصناعة فغلبت عليها التسمية. (انظر لسان العرب ٩/ ٢٢٧ مادة طوف).